المحاضرة الثانية:

المصطلحات المنهجية المتداخلة مع النظرية والمقاربة النظرية

من بين المصطلحات المنهجية المتداخلة مع مصطلحي النظرية والمقاربة، البراديغم، النموذج، الأطروحة، المدخل، سنحاول التطرق إليها في هذه المحاضرة بشيء من التفصيل:

البراديغم:"le paradigme" أو الانموذج المعرفي:

لغة: ترجع لفظة براديغم إلى الأصل اليوناني paradeigma أي مثال ونموذج، وهو مشتق من لفظ paradeiknunai الذي يدل على فعل أظهر montrer وقارن أو شبه comparer فيكون البراديغم لغة هو النموذج القياسي أو المثال الكامل الذي ينبغي اتباعه، وتعني أيضا النمط ويستخدم في علم اللغة بدلالتين:

الأولى: مرتبطة بقواعد الصرف اللغوي: حيث إن البراديغم هو مجموع الصيغ الصرفية لجذر معين، كصيغ فَعَل ويفعل وفاعل ومفعول... ويقابله لفظ syntagme الدال على التركيب التعبيري.

والثانية: مرتبطة بلسانيات فردينان دو سوسور Ferdinand de Saussure الذي قصد بالبراديغم: طائفة من العناصر ذات الجوانب المتشابهة.

وفي معجم **أكسفورد**(oxford) البراديغم هو وجهة نظر العالم التي تقوم عليها النظريات، ومنهجية البحث في الميادين العلمية على وجه الخصوص مثلا اكتشاف الجاذبية الكونية أصبح براديغم العلم الناجح.

أما في اللغة العربية، تتعدّد المصطلحات المترجمة المرادفة ل براديغم بمعناه الاصطلاحي، بين من يستخدم مصطلح الأنموذج المعرفي ، الأنموذج الإرشادي، ، النموذج الموجه، وهناك من الباحثين من يفضل استخدام مصطلح براديغم دون ترجمة تفاديا لتعدد الترجمات واختلاف التأويل.

اصطلاحا: كان توماس كوهن Thomas. S. Kuhn أول من استخدم المصطلح في كتابه "بنية الثورات العلمية" الذي نشره عام 1962م، أشار فيه إلى أن البراديغم هي الأطر المفهومية ورؤية العالم عند جماعات علمية متعددة. واستخدم توماس كوهن مصطلح براديغم للتعبير عن وجهة النظر المشتركة بين مجموعة من العلماء وعليه فإن الانموذج المعرفي والبراديغم يشمل مجموعة التوجهات والاتجاهات والمواضيع والمناهج الي يعتقد مجموعة من الباحثين على أنها الصالحة.

وتجدر الإشارة هنا إلى ان كوهن استعمل مصطلحات أخرى قريبة من البراديغم مثل "العلم النموذجي" science exemplaireو"العلم السوي" (أو المعتاد أو القياسيscience normale(، والذي يعني به البحث الملتزم بحدود وإطار براديغم معترف به بين الباحثين المتخصصين في مجال علم بذاته. أو بعبارة كون نفسه: عبارة "علم قياسي في هذه الدراسة تعني: البحث الذي رسخ بنيانه على إنجاز أو أكثر من إنجازات الماضي العلمية. وهي إنجازات يعترف مجتمع علمي محدد، ولفترة زمنية، بأنها تشكل الأساس لممارساته العلمية مستقبلا"

ومع ظهور البراديغم خرجت المعرفة العلمية من الحتمية واليقينية وتكرست فكرة المبادئ المطلقة في تفسير الظواهر وفهم العلاقات، وكادت النظرة القائمة على التراكم المعرفي أن تختفي لتحل مكانها النظرة القائمة على الانموذج المعرفي الذي يشكل نظرة جديدة إلى نفس الأشياء. وأصبح تطور العلم مرتبطا

بالباراديغمات عوض ارتباطه بالمبادئ (القوانين الكلية التي ترتبت عن البحث التجريبي) ، واستمر معيار الباراديغمات ليشمل علوم الإنسانية والإجتماعية، حيث أصبح الباراديغم المعمول به في علم ما هو معيار صدق النظريات أو القوانين

شاع استعمال هذا المصطلح بعد كوهن، وقفز من مجال تاريخ العلوم إلى مجالات عديدة، كالبرمجة العصبية اللغوية، وحملت عشرات الكتب باللغات العديدة عناوين تتضمن لفظ البراديغم، وصارت غالبا ما تتداوله بمعنىmodèle ؛ أي نموذج، أو قل: "طريقة في رؤية الأمورWeltanschauung"، لا بالمعنى الاصطلاحي الدقيق الذي وضعه كون. وصار تحول البراديغم يعني: "تحولا في طريقة رؤية الأمور". وقد استعمل المصطلح في العلوم الاجتماعية بمعنيين (أحدهما) مجموع الخبرات والاعتقادات والقيم التي تؤثر على طريقة الفرد في إدراك الواقع والتصرف تبعا لهذا الإدراك. و(الثاني) شبكة القراءة التي تسمح بتفسير المعطيات بواسطة أدواتها النظرية الخاصة. بهذا المعنى نتحدث عن براديغم "صراع الطبقات" عند كارل ماركسK. Marx ، وبراديغم "رأس المال الاجتماعي" عند بيير بورديو Pierre Burdieu ونحو ذلك...

انطلاقا من هذا المنظور فإن البراديغم العلمي يقصد به الاتجاه أو التيار الفكري أو العلمي الذي تنخرط فيه جماعة علمية تؤمن بمسلماته وأهدافه ومعايير البحث العلمي ورغم أن الجماعات العلمية داخل المجال الواحد قد تختلف في بعض المسلمات والإجراءات العلمية إلا أنها تتكامل وتتحد لتشكل براديغم أو منظومة علمية خاصة بمجال محدد، فالبراديغم العلمي يشكل الإطار العلمي الذي يجمع جملة من النظريات المعتمدة لدى جماعة من الباحثين في مجال علمي معين، حيث توحدهم طرق البحث المميزة و الأساليب العلمية التي توظف لحل الإشكاليات البحثية المطروحة.

2. **النموذج:"modèle"**: يعود أصل النموذج إلى العلوم التقنية، حيث يحيلنا هذا المفهوم إلى المجسم أو إلى إعادة الإنتاج المصغر لشيء معين، ففي هذه الرؤية تم استخدام النموذج في العلوم التقنية ليشير كمفهوم إلى مختلف وسائل التمثيل بما في ذلك المخططات المستخدمة لوصف وشرح مختلف الظواهر.

ويتميز النموذج عادة بالبساطة مقارنة بالظاهرة التي يمثلها، كونه يعتبر لدى الكثير من الباحثين وسيلة لتمثيل الظاهرة وليس دراستها، وعليه لابد أن نعرف أن النموذج دائما هو أقل ثراء من حيث المعلومات من الحقائق التي يسعى إلى تجسيدها والنموذج هو عبارة عن محاولة لتقديم وعرض العلاقات الكامنة التي يفترض وجودها بين المتغيرات التي تصنع حدثا او نظاما معينا في شكل رمزي، أي أن النماذج هي عبارة عن أدوات رمزية تساعدنا على فهم الظاهرة أو النظام أو النظرية وإدراك العلاقات بين العناصر الأساسية في تلك الظاهرة .

وفي الدراسات الاتصالية، تعد عملية النمذجة عملية معقدة إلى حد ما، نظرا لتعدد النماذج الجزئية والمؤقتة التي تعتبر في الكثير من الأحيان قاعدة لمختلف البحوث ووسيلة للتحليل والتفكير. وعلى هذا الأساس، فإننا عادة ما نعتبر النماذج في هذا المجال البحثي كتمثيل تخطيطي للتوضيح والشرح بشكل مصغر ومبسط الخطوط الأساسية للظاهرة أو لمسار معين، ولإنجاز نموذج معين، يجب على الباحث أن يكون قادرا على تجريد الجوانب الجد مهمة في الواقع المدروس، أي تشكيلها معرفيا، هذه الجوانب يمكن أن تتكون من عناصر معينة مثل المرسل، الرسالة والمستقبل وتتكون كذلك من علاقات بين هذه العناصر مثل رجع الصدى من المتلقي إلى المرسل. ويمكن من خلال النموذج الناجح تكهن وتوقع النتائج.

ومن بين فوائد النماذج في عمليتي:

- أنها تزودنا بصورة جزئية عن الاشياء الكلية، هذه الأشياء من الصعب إدراكها دون نماذج.

-إعداد النماذج يفيد في شرح وتحليل العمليات الاتصالية المعقدة والصعبة والغامضة بطريقة مبسطة، فهي ترشد الباحث إلى النقاط الرئيسية للظاهرة المدروسة

-تساعد في عملية التنبؤ بالنتائج أو بمسار الأحداث في عملية الاتصال مثلا وهذا الأمر يساعد في عملية وضع فرضيات البحث.

-النماذج تبسط النظريات وتساعد على فهمها وتساعد الباحث على تحديد النقاط التي يراد دراستها.

الفرق بين النظرية والنموذج:

تشير العديد من المراجع الغربية إلى وجود نوع من الارتباك في ضبط هذين المفهومين من الناحية المعرفية، حيث نجد أن هذا المصطلح يعاني من حساسية معرفية بين العلماء الأوروبيين والفرنسيين خاصة من جهة وبين العلماء الأنجلوساكسونيين من جهة ثانية، وذلك راجع إلى تأخر ظهور النظرية كمصطلح علمي وتعدد المصطلحات التي استخدمها الباحثون والمنظرون للدلالة على هذا المفهوم خلال القرون الماضية.

وقد دأب العديد من المنظرين في القرن 19 وبدايات القرن ال 20 على عدم الفصل بين النموذج والنظرية، حيث يشير المنظر الفرنسي **جون لويس لو موان (Jean-Louis Le Moigne)** إلى أن النموذج كمصطلح مفاهيمي لم يوجد في المعاجم والقواميس إلا في بدايات القرن العشرين، كما ذكرت **سوزان باشلار (Suzanne Bachelard)** في دراسة لها سنة 1983 أن مصطلح النموذج ظهر سنة 1902 في مقال نشر في موسوعة بريطانيكا (Britanica)" للفيلسوف لودفيغ بولتزمان (Ludwig Boltzmann) ، حيث كان الموسوعيون الغرب في القرن ال 18 يتحدثون على النظام للإشارة إلى معنى النموذج العلمي أو النظرية فعلي سبيل المثال كان يوهانز كيبلر يفضل استعمال مصطلح قوانين ، في حين كان نيوتن يستخدم مصطلح المبدأ ، وذلك قبل ظهور مصطلح النظرية.

إلا أن مصطلح النموذج لايزال يحافظ على شيوعه في الاستخدامات الاصطلاحية في المعرفة العلمية خاصة لدى المنظرين الانجلوساكسونيين، ليدل في نظرهم على نفس مفهوم النظرية، حيث يقول هيربرت سيمون (Herbert A. Simon) أنه من خلال الاستخدامات المعاصرة لكلمة نموذج، نجد ببساطة أنها مرادف لكلمة نظرية ، في حين يرى الفيلسوف الفرنسي جون لويس لو موان أن مفهوم- النموذج يعد فكرة جديدة في العلوم المعاصرة، خاصة وأن استخداماته المعرفية ثرية بتجارب متعدد ة ومتشابكة في الكثير من الأحيان، موضحا أن النموذج النظري يعتبر من منظور البحث العلمي كوسيلة لعرض وانتاج المعارف والأفكار الجديدة .

وعلى العموم نجد أن عددا من المراجع العربية تفرق بين المفهومين، حيث ترى أنه إذا كان النموذج يحدد العلاقة بين المفاهيم والظواهر مع شرحها والتنبؤ بها، فإن النظرية عبارة عن مجموعة من المفاهيم المترابطة التي تقدم تعريفات للظواهر وتحديد العلاقات بين المتغيرات مع شرح الظواهر والتنبؤ بها.

ويري مارتيانوس كابيلا إلى أن النموذج يعد الخطوة الأولى نحو النظرية، حيث يركز على أن النموذج على مشكلات أقل لكن أكثر تحديدا، كما أن النموذج يعد فئة من الفئات الفرعية المنبثقة عن النظرية .وبينما تصلح النظرية للاختبار، فإن ذلك ليس ضروريا بالنسبة للنموذج، في حين أن النموذج مثله مثل النظرية يولد فروضا قابلة للاختبار، أي أن النموذج هو خطوة أولية نحو فهم أفضل للظواهر.

3. **الأطروحة:** وتقابلها في اللغة اللاتنية" thése " المشتقة من الكلمة الإغريقية " thesis " والتي تعني طرح قضية معينة أو إثارة موضوع ما للنقاش بين عدة أطراف حيث يتبنى كل طرف موقف دفاعي ومؤيد للقضية أو الموضوع الذي يقتنع به .

الأطروحة: هي اقتراح فكري يجسد وجهة نظر معينه أو موقف معين، وهي نتاج تفكير دقيق ومنهجي حول موضوع أو قضية معينة، حيث تقوم جماعة علمية ما بطرح موضوع ما انطلاقا من فرضيات وتقديم البراهين وصولا إلى النتائج النهائية التي يفترض أن تكون منطقية او مقنعة للطرف الآخر والذي بدوره قد يطرح نقيضا للأطروحة" anti thése " التي تعبر عن موقف معارض ومناقض للأطروحة الأولى بافتراضات وبراهين ونتائج جديدة

هذا فيما يتعلق بالأطروحة فلسفيا أما التعريف الشائع للأطروحة هو ذلك التعريف أي يخص المجال العلمي والأكاديمي او الجامعي حيث تشير الأطروحة الجامعية إلى المؤلفات والبحوث الجامعية التي تتناول موضوعا ما بالبحث والنظر والتحليل وفقا لخطوات منهجية تتناسب والموضوع المعالج بدءا من طرح الإشكالية إلى غاية الوصول إلى النتائج العامة، ثم مناقشتها علنا أمام لجنة علمية قصد نيل شهادة أكاديمية عليا كرتبة الدكتوراه مثلا، وذلك بالاستناد على مختلف النظريات والمقاربات التي تناولت الموضوع أو جانبا منه.

وعليه يمكن القول إن الأطروحة العلمية تتناول موضوع أو قضية معينة بالدراسة العلمية وفق منهج معين ليتمكن الباحث من الخروج بنتائج علمية دقيقة وبراهين علمية مقنعة تقوي علاقة الباحث بالموضوع المبحوث فيه، الأمر الذي يولد لدى الباحث طرح إشكاليات جديدة وإنجاز أطروحات أخرى في نفس المجال العلمي الأكاديمي.

3. المدخل: يشير مصطلح المدخل في البحث العلمي إلى مرحلة بحثية في معالجة موضوع ما يتم من خلالها تسليط الضوء عليه، أي هو الخلفية النظرية والجذور الفكرية للبحث والأساس التنظيري له للدلالة على المرجعية العلمية والمعرفية التي تساعد الباحث على طرح مشكلة البحث وتفسير نتائج دراستها في إطارها.

ويقصد بالمدخل في البحث العلمي تلك الوجهة التي ينطلق منها الباحث لإلقاء نظرة شاملة عن الموضوع قيد الدراسة ويعني هذا أن المدخل العلمي يمثل مجموعة من المبادئ، والمسلمات والافتراضات وثيقة الصلة بالموضوع المرغوب في دراسته .حيث يعتمد عليها الباحث كمنطلق لتحديد إشكاليته البحثية والمنهج الملائم لدراستها.

يشكل المدخل في البحث العلمي مجموعة من الأفكار العامة التي توجه مسار البحث, وتخلق له مجالاً واضحاً ومحدداً، على اعتبار أن المدخل النظري (*Approach Theoretical*) يعد الدلالة العلمية التي يمكن من خلالها طرح مشكلة البحث وتفسير نتائجه في إطارها, بخلاف المدخل المنهجي (*Methodical Approach*) الذي يهتم باختيار الطرق والأساليب في معالجة المشكلات المطروحة للوصول إلى الحقائق الخاصة بها، ويتكامل المدخلان, في تكوين أسس البحث العلمي، فهو بناء منهجي من ناحية, وبناء نظري من ناحية أخرى، وتتلخص أهمية اختيار المدخل النظري للدراسة العلمية أو المشكلة المطروحة في تحقيق الوظائف التالية :

-الاتفاق على المفاهيم والمصطلحات ودلالاتها المقصودة في الدراسة محل البحث

- .رد المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في بناء المشكلة وتحديدها إلى أصولها الفكرية والنظرية، وهذا يؤكد الاتفاق على المفاهيم والمصطلحات – .

توفير المرجعية العلمية أو المدخل في صياغة الفروض العلمية من خلال النظريات أو التعميمات التي تطرحها المرجعية العلمية

- .وتتجسد أهمية المدخل أو المرجعية العلمية أكثر في بناء إطار التفسير والاستدلال للحقائق التي يتوصل إليها الباحث في دراسته للمشكلة.

إذن المدخل العلمي عبارة عن وصف شامل للموضوع المدروس من خلال تحديد المفاهيم الأساسية المنهجية منها والنظرية التي يستدل بها الباحث في دراسته لموضوعه ميدانيا والوصول إلى النتائج،

إن ما يمكن ملاحظته من خلال المفاهيم المنهجية السالفة الذكر هو التداخل الكبير بينها، حيث يتقاطع مفهوم البراديغم مع النظرية من جهة وبين النموذج من جهة أخرى، ويتقاطع مفهوم الاطروحة مع المدخل، وتشكل في مجموعها القواعد المنهجية التي توجه الباحث وتساعده في تحديد إشكالية بحثه وتؤطره لاتخاذ الإجراءات المنهجية المناسبة لمعالجتها إلا إن هذه المفاهيم والمصطلحات المنهجية تختلف في جوهرها عن بعضها البعض. حيث لكل منها خصوصياتها العلمية والمنهجية التي يستند إليها الباحث في مختلف العلوم، فالمقاربة تمتاز بكونها أداة منهجية لمقاربة الموضوع قيد الدراسة ومعالجته، اما النظرية العلمية تنفرد بدقة نتائجها المتحصل عليها بعد إخضاع الافتراضات للتجربة والتحليل. ويختلف النموذج عن البراديغم في الجوهر، حيث يمثل النموذج القالب المنهجي الذي يتبعه الباحث في دراسة موضوعه أما البراديغم يمثل التيار الفكري الذي يقتنع به الباحث وينخرط فيه ويخضع دراسته لمسلمات هذا التيار، يظهر الفرق بين كل من الأطروحة والمدخل العلمي في طريقة تناول الموضوع المدروس، حيث تعتمد الأطروحة العلمية على دراسة قضية معينة وإثباتها منهجيا بينما يقتصر المدخل على تقديم نظرة شاملة لشرح محتويات الموضوع المدروس كقاعدة للانطلاق في البحث والتحليل. رغم هذه الفوارق الاختلافات الواردة بين هذه المفاهيم المنهجية إلا إن الباحث العلمي لا يمكن له أن يستغني عن أي منها، كونها تشكل نظام منهجي متكامل و لا متناهي، فغياب أي مفهوم من هذه المفاهيم يخل بهذا النظام و يصعب سيرورة البحث العلمي.